

مقالة/ الجزء الرابع والأخير

مكتبات النجف الاشرف القديمة والحديثة

« مكتبة مسجد الكوفة

استسنتها امانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة وجهزت من قبل الأمانة باللائات المكتبي اللازم لراحة المطالعين والقراء ووسائل الراحة من مكيفات للهواء وبراد ماء وبمجموعة من الكتب التي روعي فيها أن تكون من أمهات الكتب والمصادر وقد كان الافتتاح بمناسبة ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في العشرين من شهر جمادي الآخر من العام ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠٠٩/٩/١٥، وقد كان عدد الكتب عند الافتتاح مايقارب ألفا وستمائة كتاب بوبت على أقسام المكتبة الأربعة عشر ولقد اعتمد في الأساس التصنيف الموضوعي في التبوب حيث قسمت الكتب إلى مجاميع حسب الموضوع الذي يتناوله الكتاب وهذه الأقسام هي على التوالي (علوم القرآن، علوم الحديث، العقائد، قسم التاريخ، العلوم الفقهية، الأخلاق والعرفان، الحكمة والفلسفة، العلوم الحياتية، الصحف والمجلات، قسم الكوفة، التراجم والرجال، قسم الشعر، قسم الأدب، وأخيرا المعاجم والقواميس) ثم ليرتفع العدد بعد ذلك إلى ألفين ومائة كتاب خلال الأشهر الثلاث اللاحقة نتيجة لمشتريات الأمانة الشهريـة حيث تم تخصيص مبلغ شهري لهذا الغرض وقد أهديت إلى المكتبة وعلى فترات متلاحقة عدة مجموعات من الكتب بمختلف المواضيع ومن أكثر من جهة مؤسسات كانت أو أفراد وحاليا تضم المكتبة اليوم بين فئتيها أكثر من أربعة آلاف واربعمئة كتاب وقد استحدث قسم سيرة أهل البيت عليهم السلام وقسم القانون وأكثر من ملحق للأقسام السابقة للزيادة في عدد كتب تلك الأقسام .

إن دوام المكتبة مستمر طيلة أيام الأسبوع ودون انقطاع حيث يبدأ من الساعة الثامنة صباحا عند بداية الدوام لينتهي مساء بعد الساعة التاسعة أي مع إغلاق المسجد حيث يتناوب الكادر الموجود والمؤلف من شخصين (حاليا) على ذلك ماعدا أيام الجمع التي يكون الدوام فيها للفترة المسائية فقط، وهذه ميزة قد تفتقر لها بقية المكتبات كما وقد خصص يوم من كل أسبوع للنساء وقد هيئ كادر نسائي لذلك الغرض .

« مكتبات الخطباء

ومن أهم مكتبات النجف الخاصة: مكتبات خطباء المنابر الحسينية الذين تلمزهم مهمتهم كخطباء الاحاطة بالتاريخ، والشعر، والأدب، واللغة، احاطة لا يمكن أن تتيسر بدون مكتبة زاخرة بالمصادر المهمة من أمهات الكتب، وقد رأينا من هذه المكتبات الخاصة بالخطباء مكتبة الخطيب السيد جواد شتر، وهي نموذج لما تحتوي عليه مثل هذه المكتبات، فهي مكتبة غنية بالنفائس من المعاجم والتراجم، وكل المجاميع، والدواوين، والكتب التاريخية ودوائر المعارف، والموسوعات، بينما لم يزد عددها على (٢٥٠٠) كتاب، ومن نفائس مخطوطاتها عدد من كتب السيد عبدالله شبر وهو الجد الأكبر لهذه الأسرة، وتعتبر مؤلفاته من النوارد القيمة، وقد طبع للسيد عبدالله شبر بعض الكتب في السنوات الأخيرة كان آخرها كتاب جليل في (الأخلاق) وبقيت مخطوطاته .والغالب منها انها بخط المؤلف نفسه . عند بعض أبناء الأسرة وقد رأينا طائفة منها في مكتبة السيد عباس شبر في البصرة وفي ضمنها مذكرات يومية غاية في الأهمية بخط السيد عبدالله شبر نفسه.

« مكتبة آل بحر العلوم

هذه المكتبة من أقدم مكتبات النجف الخاصة التي وصلت اليها أخبارها أيضاً فقد اقتناها الزعيم الروحاني الكبير السيد محمد مهدي بحر العلوم جد الأسرة العلمية الكبيرة المعروفة باسمه في النجف، وإن انفراده بالزعامة الروحية الواسعة جاء نتيجة لتبحره في عدد من العلوم والمعارف بالإضافة إلى تبحره في الفقه والحديث، واللاهوت، وقد تواترت الأخبار عنه بأنه قلما وجد كتاب في العربية والفارسية دون أن تكون نسخة لديه منه، وقد قيل ان مكتبته نفسها مثلت هذا البحر من العلوم كما مثله هو، وجاء في (المستدرک) عن السيد محمدمهدي انه: قد أذعن له جميع علماء عصره ومن تأخر عنه، بعلوم المقام، والرئاسة في العلوم العقلية، والعقلية، وسائر الكمالات النفسانية وجاء في (ماضي النجف وحاضرها) ان مكتبته كانت مشتملة على نفائس المخطوطات، وكلها محلاة بالذهب، ومجدولة، جيدة الخط والقرطاس، ولم يوجد فيها مطبوع، وانتقلت بعده إلى ولده السيد رضا، وبعد وفاته انتقلت إلى أولاده السيد محمّد تقی، والسيد حسين، والسيد علي، وقد جمع أكثرها السيد علي آل بحر العلوم صاحب (البرهان القاطع) وكان تأسيس هذه المكتبة في نحو الثلث الأخير من القرن الثاني عشر الهجري.

« مكتبة آل خرسان

أسسها السيد حسن بن علي من آل خرسان الموسويين القاطنين في النجف . كان معاصرا لصاحب الجواهر . سكن بغداد بالتماس بعض تجارها، وتزوج هناك ومات بها في (١٢٦٥) وحمل جثمانا إلى النجف: ودفن في مقبرتهم، وانتقلت الكتب بعده إلى أكبر أولاده السيد عباس، فزاد عليها وأوقفها في (حدود ١٣٠٠) على أخيه السيد موسى المتوفى (١٣٢١) وابنه السيد محمد وأخيه السيد محمد حسين، وفي زمانهم احترقت أكثر مخطوطات المكتبة، وي بعدهم انتقلت إلى السيد عبد الهادي ابن موسى المذكور ، ثم إلى ولده السيد حسن، ثم ولده السيد مهدي بن الحسن المعاصر للمولود (١٣٤٠).

« مكتبة آل محي الدين

هي مكتبة الشيخ محمّد بن الشيخ يوسف محي الدين أحد علماء هذه الأسرة وكانت عنده كتب عدت بالألوف، وقد أشار إليها الشيخ عليّ كاشف الغطاء وعدها من المكتبات المهمة بما كانت تحتوي عليه من نفائس الكتب.

وحينما مات بيعت هذه الكتب وقد رأيت أنا البعض منها في مكتبة الشيخ قاسم محي الدين وقد كتب عليها الشيخ قاسم انه اشتراها من بعض من وجدها عنده لأن عليها حواشي بخط الشيخ محمّد الشيخ يوسف، وكان تأسيس هذه المكتبة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

« مكتبة آل مشكور

أسسها الشيخ مشكور بن محمد الخاقاني نسبا الحولايي مولدا، النجفي مسكنا ومدفنا الذي غرق في الحمام الهندي في النجف عام (١٢٧٢) . وبعده انتقلت المكتبة إلى أولاده .وهي الشيخ حسين بن مشكور بن جواد بن الشيخ مشكور الكبير .

« مكتبة الحاج ملّا باقر

كانت للحاج ملّا باقر الشوشتری مكتبة نفيسة أسسها في نحو الثلث الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري وكانت تحتوي على ٣٠٠٠ كتاب، ومعظمها كان من الكتب المخطوطة النادرة التي انفردت هذه المكتبة بالحصول عليها بين المكتبات المعروفة بجمع النادر الفريد، ومن أهم هذه الكتب:

١. نسخة من زبور داود يرجع تاريخ خطها إلى أوائل القرن الرابع الهجري.
٢. نسخة من (شرح الصحيفة السجادية) قديمة.
٣. نسخة من كتاب (كشف اللثام في شرح شرايع الإسلام) للفاضل الهندي، وهي بخطه.وان أغلب هذه المكتبة قد انتقلت بعد ذلك من النجف إلى بمبي وقد تلفت، بسبب الرطوبة وانعدمّت من الوجود على ما نقلوا.(كتاب خاهاي ايران ،بالفارسية. لعبد العزيز الجواهري ص ١٠٥).

« مكتبة الخليلي

كان الحاج ملّا عليّ الخليلي ملحقاً، وزاهداً في المال، ومتقشفاً غاية التقشف، في ملبسه، ومأكله، وقد ورثت زوجته من أبيها أطياناً، وثروة، فهي ابنة السيد محمّد الرحباوي الذي قامت معركة الزّكرت والشمرت بسبب مقتل أخيه السيد محمود، فوضعت كل ثروتها تحت نفوذ زوجها الحاج ملّا عليّ ولكن زوجها لم تمتد يده إليها لزهده، ونسكه المعروف، غير انه استعان ببعض المال منها في شراء الكتب، وبذلك تألفت مكتبته الكبرى.وقد كانت هذه المكتبة تمتاز على المكتبات الأخرى في عصرها بما كانت تضم من كتب الرجال، والتراجم، حتى لقد قيل إن كثيراً من كتب الرجال التي ورد ذكرها في بطون التواريخ والتي اعتبرت مفقودة كانت لديه منها نسخة، إذا لم تكن النسخة الأصلية نفسها، ولذلك اعتبرت مؤلفاته في الرجال من أدق، وأصح ما أؤلف في هذا الباب، وقد روى بعض أفراد أسرة الخليلي ان الكتب التي تخص علم الرجال، أو تراجم أحوالهم وسيرتهم، وعلى الأخص رجال الحديث، والرواية، كانت وحدها تتجاوز ألف كتاب!!! وهناك نحو ألفي كتاب آخر في سائر العلوم كان قد وقف الجميع باستئذان زوجته على طلاب العلم فوزعت بعد وفاته على المدارس الدينية وطلاب العلم،أما مؤلفاته فقد انتقلت إلى ورثته ولم يزل بعضها عند أحفاده ومنها بعض مؤلفاته وحواشيه على الأسفار في بعض المكتبات الخاصة في النجف ومنها أحد مؤلفاته في الرجال وغيره في مكتبة الشيخ عليّ كاشف الغطاء.وكان تأسيس مكتبة الحاج ملّا عليّ في حدود العشرات الأولى من القرن الثالث عشر الهجري.

« مكتبة الخونساري

أسس هذه المكتبة الشيخ آقا محمّد عليّ الخونساري في نحو الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وكانت تحتوي على عدد كبير من نفائس المخطوطات النادرة التي أفنى عمره في جمعها سنين طويلة، وكان فيها على ما نقلوا، ما لم يوجد في غيرها من المكتبات من النسخ والكثير منها مخطوط بخطوط قديمة، منها (سلوة الغريب) و (رحلة السيد عليّ خان المدني الشيرازي) إلى مكة والهند، وهي التي اكتسبت شهرة كبيرة في عالم الكتب بالنظر لأهمية بحثهاوقد انتقلت ورائته إلى أولاده، وكان لها فهرست بأسماء جميع محتوياتها، ولم يبق لها أثر اليوم.

« مكتبة السيد أحمد هلاله

هذا السيد من وجهاء سادات القبائل في الباطنج، وكانت له في النجف دور وأملاك، وقد عرف بهوايته الكتب، واقتنائها، وقد كان ينفق على شراء الكتب كثيراً، والمروى عن كتبه انها كانت من النفائس النادرة، وجلها من الكتب المخطوطة، وقد شاهد بعض كتبه هذه الشيخ علي

كاشف الغطاء على ما روى في كتابه (نهج الصواب)، وكان تأسيسها في أوائل القرن الثالث عشر ولم يبق اليوم منها غير ذكرها في بعض حواشي الكتب والتراجم.

« مكتبة السيد صادق كمونة

شب ولعه بالكتب مع شبابه وهو طالب في كلية الحقوق، ثم ما لبث أن ولع بتتبع القضايا القانونية، وسأفه هذا التتبع إلى أن يبحث عن طائفة من الكتب الخاصة والمخطوطات منها حتى جمع مكتبة من أنفُس المكتبات من حيث مطبوعاتها، ومخطوطاتها. جاء في دليل الجمهورية العراقية عن مكتبة السيد صادق قوله: أنشأها في بغداد سنة ١٩٣٥ م فيها من الكتب المختارة ما قد تنفرد به عن غيرها، وتدور موضوعاتها على الفقه، والفلسفة، والتصوف، والأدب، والتأريخ، والتراجم، وفيها مجموعة قيمة من المخطوطات والحقيقة ان هذه المكتبة قد تأسست في النجف ولم تنقل إلى بغداد إلا أخيراً حين انتقل السيد صادق كمونة إلى بغداد واتخذها سكناً، وقد تأسست بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري بقليل وتحتوي هذه المكتبة على (٨٠٠٠) كتاب. وقد حوت مكتبة كمونة نسخاً غير قليلة من كتب السماوي التي اشترت وضمنت إليها.

« مكتبة السيد عليّ بحر العلوم

هو حفيد السيد محمّد مهدي بحر العلوم، وقد رويت عن مكتبته روايات كثيرة لأجل جل مكتبة جده قد آلت إليه قبل بيعها، ولأنه أضاف إليها ما استطاع أن يجمع من الكتب النفيسة النادرة. وقد روي عنه انه كان سخيّاً يبذل المال في سبيل اقتناء الكتب، والحق ان هذا السخاء في شراء الكتب صفة لازمت أعضاء هذه الأسرة في مختلف العصور حتى تكاد لا تجد بيتاً من بيوت هذه الأسرة حتى هذه الساعة ولم تصف الكتب في رفوفها إلى السقف مما سنشير إلى المهم منها في هذا الحقل، وعند وفاة السيد عليّ بيعت هذه الكتب وتفرقت وقد اشترى طائفة من كتبها الشيخ عليّ آل كاشف الغطاء كما احتفظ بعدد من مخطوطاتها بعض الورثة من أسرة بحر العلوم، وقد تأسست مكتبة السيد علي في منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

« مكتبة الشيخ محمّد باقر الأصفهاني

قال الشيخ جعفر محبوبة نقلا عن (نهج الصواب): جمع هذا الشيخ كتباً نفيسة في سائر الفنون وكان يشتريها بأعلى القيم، واستنسخ جملة كثيرة منها، وهو من عشاق الكتب والحريصين عليها وقد استأجر لها داراً خاصة، وعين عليها قتيماً، أباح المطالعة والاستسناخ لكل من أراد، فكانت مكتبته عامة نافعة لسائر المحصلين، والمستفيدين، ثم لما أراد الرجوع إلى وطنه اصفهان باع جملة منها في النجف، وجملة منها في كربلاء، وحمل ما اختار منها إلى اصفهان على ما روى الشيخ عليّ كاشف الغطاء.ويستنتج من ترجمته الواردة في (أعلام الزركلي) بتعيين وفاته في سنة ١٣١٣ هجرية ان تأسيس مكتبته كان بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

« مكتبة الملاي

وهي مكتبة منسوبة لآل (الملاّ) أو الملاي كما هو المشهور، الذين جمع بعضهم بين النقابة والحكومة، والزعامة الروحانية، وسدانة الروضة الحيدرية، مدة ثلاثة قرون، وقد انحدر من هذه الأسرة عدد من أكابر العلماء، والفقهاء الذين كان لهم صيت في البحث، والدرس، والتأليف، وإن كتاب (الحاشية على تهذيب المنطق) هو من بعض مؤلفات جدهم الملاّ عبدالله بن شهاب الدين اليزدي المتوفى سنة ٩٨١ هـ والمعروف بالشهاب آبادي، والذي لا يزال كتابه هذا ومنذ أربعة قرون وهو يدرس



في المدارس العلمية، وقد كانت للملا عبدالله مدرسة في النجف باسمه، وقد ورد ذكر لكثير من أسماء كتبها، وزندهارها بالعلم، في عرض المرور بتراجم رحلات هذه الأسرة، ومن الذين أشار إلى ذلك السيد حسن الصدر في (تكملة الأمل) والسيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة)، والشيخ غابزرك، ولا يبعد أن تكون كتب هذه المدرسة من أنفُس الكتب وأثمنها بالنظر لما تعاقب على رعايتها من رجالات هذه الأسرة من العلماء، وفقهاء، والشعراء، الذين لو جمع ما قبل فيهم من الشعر لآلف دواوين واسعة، وهي أقدم مكتبة عامة لأقدم مدرسة وصل إلينا خبرها، وليس اليوم لهذه المكتبة أثر أو بعض أثر.

« مكتبة المنتدى

تأسست مع تأسيس جمعية منتدى النشر ونمت بذرتها أول ما نمت في بيت السيد موسى آل بحر العلوم في محلة المشرق وذلك في نحو سنة ١٣٤٥ هجرية وحين انتقلت جمعية المنتدى إلى بيت (البانو) في شارع (الصدماتان) كانت المكتبة في أبان ازدهارها ونمت أكثر في البيت الواقع بشارع آل دوش حتى انتقلت أخيراً إلى بناية جمعية المنتدى الجديدة الملتصقة بالصحن الشريف من جانب السوق الكبير، ونواة هذه المكتبة قد تألفت من مجموعة الكتب التي تبرع بها أعضاء الجمعية ولم يزد مجموعها على (٣٠٠٠) كتاب وكلها مطبوعة وليس فيها من المخطوطات إلا القليل الذي لا يزيد على ٥٠ كتاباً أهمها (المختلف) للعلامة الحلي، و (الكفاية) للريزوري، و (المفاتيح) للকাশاني.

« مكتبة صاحب الذريعة

أسسها الشيخ آغا برك الطهراني مؤلف الموسوعة القيمة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) عام ١٣٢٥ هـ ووقفها عام ١٣٧٥ هـ وفيها حوالي خمسة آلاف كتاب من بينها الموسوعات التاريخية، والرجالية، والمخطوطات النادرة منها:

١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بخط مؤسس المكتبة مؤلف الكتاب.
٢. طبقات آعلام الشيعة، له أيضاً وبخطه.
٣. إجازات القرون الثلاثة الأخيرة، له أيضاً وبخطه.
٤. مجموعة الفوائد المتفرقة، له أيضاً وبخطه.
٥. مستدرک الذريعة، له أيضاً وبخطه وغيرها وتقع هذه المكتبة في دار مؤسسها بمحلة الجديدة .

« مكتبة مدرسة الصدر الأعظم

تقع في بناية مدرسة الصدر الواقعة عند مدخل سوق الكبير، أسسها الحاج محمّد حسين خان الأصفهاني المعروف بالصدر الأعظم، وسقيت نسبة إليه ؛ وذلك في أيام فتح علي شاه القاجاري في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، تعتبر أول مكتبة عامة أنشئت في مدينة النجف الحديثة، وقد أصبحت من أشهر مكتباتها لفترة من الزمان، وقد أسسها الصدر الأعظم ليستعين بها طلاب مدرسته الدينية، وقد بذل عليها الأموال الطائلة لتزويدها بالمصادر العلمية الخطية والمطبوعة. وعلى الرغم من أهميتها والمبالغ الكبيرة التي أنفقت عليها إلا إنها فقدت الكثير من مخطوطاتها الأثرية ولكنها النادرة التي كان عددها كبيراً حتّى الربيع الأول من القرن الرابع عشر الهجري.

« مكتبة مدرسة اليزدي

وهي مكتبة أنشئت في نحو الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري، بعد انتهاء بناء المدرسة الكبيرة الفخمة التي بناها السيد محمّد كاظم اليزدي في الشارع المسمى اليوم باسم مدرسة اليزدي، من سوق الحويش، وميزة هذه المكتبة ليس في وفرة كتبها وما تضم من المصادر التي يحتاج إليها طلاب العلم فحسب، وانما لأن ما طرأ على كتبها من طوارئ الفقدان والتلف كان أقل من مكتبات المدارس الأخرى، والسبب ان هذه المكتبة كانت موضع عناية خلفه السيد عليّ اليزدي، وقد كان من المراجع الروحانيين بعد أبيه، ثم موضع عناية أولاده وأحفاده حتى اليوم، ولما كان انفراد السيد محمّد كاظم اليزدي بالزعامة الروحانية الشيعة انفراداً أقل نظيره في التأريخ، فقد سهّل ذلك تأسيس أكبر مكتبة بالنسبة لمكتبات المدارس من أفخم مدرسة في يومها وهي اليوم إحدى مكتبات المدارس المهمة في النجف.

« مكتبة مدرسة آية الله البروجردي

أسسها السيد حسين البروجردي ـ المرجع الديني الشهير ـ عام ١٣٧٣ هـ وفيها ما يزيد على خمسة آلاف مطبوع، ومئات المخطوطات، ومن نواذر مخطوطاتها:

١. أصول الهندسة والحساب، إقليدس.
٢. أصول الهندسة والحساب، لنصير الدين الطوسي.
٣. تحفة الحاتمي في الأسطولات، للشيخ البهائي.
٤. رسالة في الجبر والمقابلة، لنصير الدين الطوسي.
٥. القانون، لابن سينا وغيرها وتقع في مدرسة آية الله البروجردي، قرب دورة الصحن الحيدري الشريف.

إنتهت